القدس في الأدب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين
من خلال مجموعة من «طهران للقدس» - يونا كوهين

أ.د. أحمد كامل براوي
رئيس قسم اللغة العبرية - كلية الآداب. جامعة حلوان

تحظى مدينة القدس بمكانة خاصة وقدسية لدى العرب والمسلمين منذ نشأتها وحتى يومنا هـذا، ويعـود الفضل في بنائها إلى اليبوسـيين، وهم بطن من بطون العـرب الأوائل، نشؤوا في جنوب الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية فاسـتوطنوا هذه الديار، وكان هذا حوالى سنة 3000 ق.م[1].

وجـاء أول وجـود لبنـي إسرائيل في القدس بعـد ظهورها بألفي عام، حيث اسـتولى عليها داود عليه السلام حوالي سنة 1000 قبل الميلاد. وجعلها عاصمة لحكمه لموقعها العسكري العظيـم.[2]، وكـان وجودهم وجـودًا عارضًا وبرهة لا تحسـب في عمر التاريـخ الزمني أو تاريخ القدس.

ومـن الجدير بالذكر أنه خلال الحكم الإسرائيلي ظلّ العرب اليبوسـيون، ويسـميهم العهد القديـم أحيانًـا بالإسـماعيليين، يعيشـون في مدينتهـم، ويمكـن القول إن العـرب لم تنقطع صلتهم بمدينتهم حتى في زمن الاحتلال الإسرائيلي الغابر.[3]

وقد تعاقبت على المدينة القوى العظمى التي ظهرت في المنطقة عبر العصور المختلفة، وظل الوجود العربي بارزًا في المدينة حتى فتح المسلمون القدس سنه 638 م، ومن الحقائق المسلم بها أن فتح المسـلمين العـرب للقدس لا يتعدى كونه تحريرًا عربيًّـا لأرض عربية كانت تقع

تحت أسر الاحتلال الأجنبي ضمن أراض عربية كانت تعاني من الاحتلال نفسه.[4]

وقد ظلت القدس إسلامية عربية وبقيت في أيدي العرب حتى كارثة فلسطين 1948، حيث استولى الغزاة اليهود على نصف المدينة الغربي، وكارثة 1967 والتي استولى في أعقابها اليهود على كل المدينة، أي ضموا إليهم القدس الشرقية والتي كانت في يد العرب.[5]

ونظرًا للمكانة المتميزة والفريدة التي تحتلها مدينة القدس المقدسة عند المسلمين والعرب، وبوصفها محور الصراع بين العرب والإسرائيليين، ونظرًا لمحاولات اليهود المستمرة والمكثفة لتهويدها وطمس حق العرب فيها، آلينا على أنفسنا الكشف عن صورة القدس في الأدب العبري الموجه للصبية الإسرائيليين؛ بهدف الكشف عن مكانتها المزعومة لدى اليهود، ورؤية الأديب لواقع حياة اليهود في القدس، وبحث دعوى الحق الديني والتاريخي، والكشف عن رؤية الأدب المكتوب لهذه المرحلة العمرية للصراع العربي الإسرائيلي على مدينة القدس. وقد بات هذا الأمر ضرورة دينية وقومية في ظل المواجهة الراهنة مع العدو الإسرائيلي الغاشم والرامي إلى اغتصاب القدس العربية وإطلاقه المزاعم الباطلة لتبرير ما يقوم به.

وعن اختيار الأدب المكتوب للصبية –الشباب في مقتبل العمر– فيرجع إلى:

–أهمية تلك المرحلة وأهمية الأدب الذي يكتب لها؛ فهو أدب موجه وله أهداف ولا يكتب اعتباطًا، ولذلك فمن الضروري والمهم الكشف عن قضية القدس فيه وعن سبب اختيار الأديب يونا كوهين"[6] ومجموعته القصصية מטהרן לירושלים من طهران إلى القدس فيرجع إلى:

– أنه أديب من مواليد القدس الشرقية وتلقى تعليمه بها ويرتبط بها ارتباطًا كبيرًا، وهو يعتبر شاهد عيان على الصراع على مدينة القدس، ومن الضرورى والمهم الكشف عن رؤية أديب يهودي مقدسي وشاهد على أحداث الصراع على القدس وهذا ما يميزه:

– اهتمام الأديب في هذه المجموعة القصصية والتي كتبها خصيصا للصبية بالقدس.

– تعكس هذه المجموعة القصصية خلفية الأديب الدينية، فهو يمثل التيار الديني ورؤيته للقدس، فجاءت نظرته للقدس مختلفة عن غالبية أدباء العبرية العلمانيين الذين لاينظرون إلى القدس بالنظرة نفسها التي تبناها هذا الأديب والتي ستتضح في البحث.

الأدب الموجه للصبية الإسرائيليين

تعتبر مرحلة الصبا مرحلة مهمة في حياة الفرد، فهي مرحلة يودع فيها مرحلة الطفولة ويقبل على بداية مرحلة الشباب، ويحدد علماء النفس والتربية هذه المرحلة بأنها ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة[7]، ويبدأ الصبي في تلك المرحلة بقراءة الصحف والمجلات الخاصة بالكبار ومتابعة الأحداث السياسية، حيث تزداد خبرتهم وينمو وعيهم بمشكلات المجتمع المختلفة، ويرتبط الصبي بقصص البطولات والمغامرات والرحلات والقصص ذات الطابع الاجتماعي الواقعي[8]، أي إنها مرحلة يستطيع الفرد فيها إدراك ما يدور حوله واستيعابه.

ويعتبر الأدب الموجه إلى الصبية من أهم الآداب وأخطرها، لأنه يوجه إليهم وهم في مرحلة مهمة للغاية من مراحل حياتهم، تلك المرحلة التي يمكن أن يكتسب فيها الصبي مفاهيم وأفكارًا وقيمًا ومبادئ وتقاليد، وتصبح جزءًا لا يتجزأ من شخصيته وعقيدة من عقائده. لذلك يتخذ الأدب وسيلة أساسية لتحقيق هذا الهدف؛ حيث يكون الصبي في تلك المرحلة العمرية بمثابة تربة خصبة يمكن أن تغرس بها القيم والأفكار، ويكون على استعداد لتقبل واستيعاب الأفكار، ويلعب الأدب دورًا في هذا الاتجاه، حيث يسهم في بث القيم والأفكار والمبادئ المرغوب زرعها فيه.

ويعد الأدب الموجه للصبية في هذا العمر أحد أسلحة الصهيونية المهمة التي من خلالها تبث الصهيونية فكرها ومعتقداتها ومبادئها، كما أنها عن طريقه تعمل على تشكيل وجدان الصبية وفكرهم الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي والتاريخي. فالأدب المعد للصبية وسيلة مهمة لتحقيق أهداف رأى زعماء الصهيونية أنها ضرورية ومهمة.

ولقد ظهر جمهور من القراء الشباب في مقتبل العمر (الصبية) منذ البدايات المبكرة للأدب العبري الحديث، وقد أُنتجت قصص لجمهور الشباب في فترة التنوير (الهسكالاة)، حيث لم يكتف الصبية بقصص التوراة وأساطير المدراش بل تطلعوا لقراءة قصص جديدة، وقرأ الصبية المشتاقون للقراءة كل ما يصل إلى أيديهم.

ولقد أحدثت قصص مابو وغيره من أدباء الهسكالاه تحولًا في واقع الأدب العبري بالنسبة للصبية، حيث أشعلت الفخر بالماضي والتباهي به وبالشخصيات التاريخية بين الفتية اليهود، وقد قرؤوها بشغف وألهبت الحماس بينهم للماضي.[9]

وقد استمر تيار الكتابة للصبية في مراحل الأدب العبري اللاحقة، ففي مرحلة الإحياء

الصهيـوني (والتي يسـميها اليهود الإحياء القومـي) ظهرت أعمال أدبيـة للصبية تقوم على فكـرة الفخـر القومـي، وقد عمل الأدبـاء على أن يثـيروا في نفوس الشباب شـعور الانتماء القومـي والارتباط بتراث (ما يسـمى) الشعب اليهودي، فقامـوا بكتابة عشرات القصص عن أبطال الأمة وزعمائها، وعن موضوعات تحكي عن التمرد والاضطهاد والمطاردات.[10]

وبعـد أن تأسسـت الحركة الصهيونية وظهرت تنظيمات كثـيرة لها وحركات تدعو لفكرها، أولـت الصهيونية الصبيـة الذين في مقتبل العمر اهتمامًا كبـيرًا وظهرت تنظيمات وحركات شـبابية كثيرة تهتم بهم وبأحوالهـم ومشاكلهم وطرح الأفكـار الصهيونية عليهم من خلال صحـف ومجلات ناطقة بلسـان حال التنظيـمات الصهيونية الشبابيـة المختلفة وعبّرت عن الصبيـة وآرائهم، وقد تميزت بالنبرة السياسـية. وقد ضمت الصحـف والمجلات بداخلها موادَّ أدبية: قصصًا وقصائد شعرية.[11]

وفي عـام 1907 ظهـرت مجلـة אשכולות برئاسـة تحريـر أ.ز. ريبنـو فيتش، وقـد صدرت في القدس مجلة הגן للصبية التي قدمت نتاجًا من الأدب العبري الحديث المكتوب للصبية.

وفي عام 1926 تأسست صحيفة הנוער והארץ ونُشرت فيها قصائد شعرية وقصص للصبية كتبها الأدباء أفيجدور همئيري ودافيد شمعوني وراحيل وغيرهم.

وفي عام 1938 تأسست صحيفة שערים الأدبية للصبية في فلسطين وتميزت بأسلوبها البليغ، وكان هدفها هدفًا صهيونيًّا بحتًا، وهو حث الصبية اليهود على الانضمام للحركة الصهيونية الطليعية في فلسطين.

وفي 1944 صـدرت الصحيفـة الأدبية עתדות للصبية وقد أسسـتها الشعبة الخاصة لشؤون الشبـاب التابعـة لـلإدارة الصهيونية بالاشـتراك مع دار نشر مسـاداه. وقد تـرأس تحريرها الأديب آشير براش. وقد صدرت فيها موضوعات أدبية واجتماعية للصبية اليهود.[12]

ومـن خـلال الحركات الشبابية والمجـلات التي تصدرها لعب الأدبـاء دورًا مهمًّا في توجيه الصبية الإسرائيليين، عن طريق مشاركتهم الفعالة في الحركات الشبابية والصحف الموجهة والقصـص التـي كتبوهـا خصيصًا لهـم، والتي من خلالهـا تبث الأفكـار المرغوبـة والقيم والأيديولوجية الصهيونية وما تحتويه من أفكار سياسية ودينية.

ومـن أهـم الأدباء الذيـن شـاركوا في الحركـات الشبابية ووجهـوا بعض كتاباتهـم الأدبية للصبية، الأديب يونا كوهين الذي عمل مرشدًا في الحركة الشبابية الدينية بني عقيبا.

وكـان موضوع القدس مـن الموضوعات المهمة التي تناولها الأديـب في مجموعته القصصية

"מטהרן לירושלים ועוד ספורים לבני נעורים" "من طهران إلى القدس وقصص أخرى للصبية)" التي قدمها للصبية الإسرائيليين. وقد ضمت هذه المجموعة القصصية خمس قصص تدور معظمها في القدس الشرقية. وهذه القصص هي قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس"، وقصة (עיניים. מהווי ירושלים) "عينان، من واقع القدس"، وقصة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي من القدس القديمة" وقصة האילן שלמד סבלנות "الشجرة التي علمت الصبر" وقصة יאסופה "ياسوفه".

وقبل توضيح كيفية معالجة الأديب في مجموعته التي كتبها للشباب في مقتبل العمر لقضية القدس وكيفية تصويرها، سنستعرض في عجالة صورة القدس في الأدب العبري الحديث وكذلك الأدب العبري الذي كتب للطفل الإسرائيلي.

صورة القدس في الأدب العبري الحديث:

أ- صورة القدس قبل قيام إسرائيل

اهتم الأدب العبري الحديث بمدينة القدس اهتمامًا كبيرًا، وخاصة بعد أن ركزت الصهيونية على مدينة القدس كعنصر جذب سياسي وديني لليهود، فهاجر الكثير منهم إلى فلسطين في موجات هجرة متتالية حملت ضمنها مجموعة كبيرة من الأدباء، ومن بين أدباء العبرية الذين تمثل القدس مكانة كبيرة في أعمالهم نذكر ما يلي:

- يتسحاق شامي (1889 – 1949): والقدس عنده هي مدينة شرقية مثالية ذات طابع عربي تقليدي واضح المعالم، وهي مدينة تتميز بالتنوع الفولكلوري والثقافي، يؤمن سكان القدس إيمانًا مطلقًا بالقضاء والقدر ومفاهيم الشرف والانتقام والتعصب القبلي، وتلك المعتقدات هي التي تحدد سلوكهم الفظ والخطير.

- ولا يختلف يهودا بورلا (1887 – 1970) في تصويره للقدس عن شامي؛ فالقدس لديه هي مدينة ذات طابع شرقي خالص، وهي مدينة بسيطة تمتلئ بالحياة والحيوية، ويحكم سكانها العادات والتقاليد الشعبية.

- أما القدس عند أهرون رؤبينى (1886 – 1971) فهي مختلفة تمامًا؛ فهي مدينة مهاجرين. مهاجرو الهجرة الثانية، معظمهم مفكرون ومثقفون وقليل منهم عمال وبسطاء، وجميعهم يحاول الاستقرار في المدينة وتواجههم مشاكل كثيرة وخاصة في فترة الحرب العالمية الأولى، ويصورها كمدينة تمر عليها كل أنواع الكوارث والنكبات وتشبه سفينة في بحر هائج[13].

– ويصور يعقوب شطينبرج (1887 – 1947) القدس كمدينة جامدة وزاهدة تتسم بالحزن والكآبة، تكتنفها الوحشة ومكان مهيّأ للكوارث.[14]

– أما يوسف حاييم برينر (1881 – 1921) فإنه يهاجم القدس أكثر من أي مكان آخر، فهي في نظره حافلة بمظاهر الفساد، ويصورها على أنها مدينة بلا حضارة وبائسة وبغيضة وقبيحة وتبعث على اليأس، وأحيانًا يصفها بالزانية والنجسة والوضيعة، كما تمتلئ مقالاته الصحفية بالكراهية المرضية تجاه القدس.[15]

– ويصف حاييم هزاز (1897 – 1973) في رواية "الجالسة في الجنان" القدس كمدينة تضم سكانًا سذّجًا يحملون أفكارًا متخبطة، وعلى الرغم من هجرتهم إلى القدس ومعيشتهم فيها، إلا أنهم يتمسكون بأحلامهم وأوهامهم السابقة عن الهجرة، كما يصور المدينة على أنها بسيطة تمتلئ بالتراب والغبار، مكدسة بالأطلال والكهوف والأزقة الضيقة.

– أما القدس بالنسبة ليسرائيل زرحى (1909 – 1947) فهي مدينة مرغوبة يكتنفها الغموض، إنها مدينة الهدوء والكمال الذي لم يتم الوصول إليه.[16]

ونخلص من خلال هذه النماذج البسيطة إلى أن القدس لم تكن بنفس الصورة المتوقعة في الأدب العبري– قبل قيام الدولة، بل كانت صورتها سلبية في أغلبها مليئة بالكآبة، وربما يعود هذا إلى ما يلي:

– هجرة الأدباء من بلدانهم الأصلية إلى فلسطين والقدس فتمزقوا بين عالمين مختلفين تمامًا وواقعين مختلفين، وصعوبة الحياة التي أقبلوا إليها فلم تكن هادئة ومريحة كما تخيلوا مسبقًا، حيث مشاكل الاستيطان التي واجهتهم، والصعوبات التي صاحبت بناء مجتمع صهيونى جديد.

– الصدمة المروعة التي أصابت الأدباء عقب الهجرة، حيث رأوا الواقع المرير الذي يعيشه يهود القدس، فكان كثير منهم يعيشون حياة بسيطة ويحيون على التبرعات والصدقات القادمة من يهود الخارج.

– الصراع العربي اليهودي والصدامات المتكررة بينهما على مدينة القدس، وكانت القدس عربية خالصة، وغالبية سكانها عرب، فلم يستطع اليهود السيطرة عليها وانتزاعها من العرب وخاصة منطقة البلدة القديمة التي تحوي مقدسات عربية يزعم اليهود أنها يهودية.

وأثر كل هذا في عرض الأدباء لصورة القدس وسكانها في أدبهم، فلم تكن الصورة المرجوة أو الإيجابية التي كانت متوقعة من أدباء هاجروا إلى فلسطين حاملين معهم أفكارًا وتطلعاتٍ وآمالًا وأشواقًا لمدينة القدس.

ب – صورة القدس بعد قيام الدولة

قامت إسرائيل بعد موجات من الهجرات المنظمة، والتي نتج عنها مع مرور الوقت ظهور مجموعة كبيرة من الأدباء ولدوا في فلسطين، ومنهم من نشأ وتربى في القدس، وظهر على الساحة الأدبية من بدأ يقدم القدس كموضوع من الموضوعات المهمة في أعماله أو كخلفية للعمل الأدبي أو كمكان وقوع أحداث العمل الأدبي، ومن أهمهم:

– عاموس عوز (1939 – 2018) والقدس لديه لها واقع آخر، فهي مدينة علمانية روتينية، يتملك النفس الشوق والحنين إليها، وكل من يقرأ نتاج عوز يتضح له ارتباطه النفسي والروحي بها[17]، ويعترف عوز نفسه بمدى حبه للقدس وارتباطه بها قائلًا: "ولدت في القدس، وقضيت فيها طفولتي ولازلت أحبها حبًّا شديدًا"[18].

– أما القدس عند عماليا كهانا كرمون، فهي قدس خاصة ومختلفة عن غيرها من الأدباء من ناحية تعبيراتها الفنية والأدبية. وترتبط عماليا بالقدس ارتباطًا وثيقًا، والقدس بالنسبة لها عالم مفقود يشتاق إليه الإنسان المتمدن والذي يعيش واقعًا قبيحًا، فالقدس لديها مدينة محببة وقريبة إلى النفس[19].

– أما دافيد شحر الذي عاش في القدس وعرفها عن كثب، فهي تحتل مكانة مهمة في أعماله، وتظهر في أعماله أشواق عميقة للقدس والمناظر الطبيعية الموجودة فيها، كما تمثل القدس بالنسبة له واقعًا ينبض بالحياة، وكانت نظرته للقدس في مجملها نظرة إيجابية للغاية[20].

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الأعمال الأدبية التي صورت القدس لم تأتِ على خط تقليدي واحد، وإن تعددت صورة القدس طبقًا لتعدد الأدباء، وتصوير القدس لدى كل أديب يأتي من خلال آرائه الأيديولوجية وارتباطه بها ومشاعره الشخصية، ومن خلال آرائه العامة وطبقًا لتعليمه القومي والديني ومواقفه السلبية أو الإيجابية[21].

القدس في أدب الطفل العبري.

اهتم كثير من الأدباء الذين كتبوا قصصًا للطفل الإسرائيلي بموضوع القدس وعكسوا مكانتها في الوجدان اليهودي. ومن أبرز الأدباء الذين تناولوا القدس في أعمالهم الموجهة للطفل الإسرائيلي نذكر على سبيل المثل:

– الكاتب دافيد كوهين، ويركز في قصصه التي كتبها للأطفال على ربط اليهود بفلسطين عمومًا والقدس على وجه الخصوص، فيتناول معالم القدس زاعمًا أحقية اليهود فيها، رافعًا دعوى ملكية اليهود لها، وأنها تخصهم دون غيرهم على مرّ العصور، وأن ملكيتهم لها تعود إلى عهود غابرة، وتواجدهم بها لم ينقطع على مر العصور. ويظهر هذا بوضوح في قصة כותל דמעות "حائط الدموع" وقصة החשמונאים הצעירים "الحشمونائيون الصغار"[22].

– ولا يختلف موقف الكاتب "يفرح حفيف" عن موقف كوهين، فيحاول في قصته שכור לכל החיים "السكر في صحة الجميع"[23] ربط اليهود بماضيهم القديم في القدس، مركزًا على الحق التاريخي اليهودي في هذه المدينة، والذي يعود إلى زمن التوراة.

– أما الأديبة راحيل مينتس فتبرز مكانة القدس في الوجدان اليهودي وما تتمتع به من مكانة دينية لدى اليهود وحرصهم على زيارتها والصلاة فيها والتبرك بها والدفن فيها، ويظهر هذا في قصة נעלה לירושלים "فلنهاجر إلى القدس"[24].

– أما الأديبة سارة جلوزمان فتعمل في قصصها على توطيد العلاقة الروحية والدينية بين الطفل اليهودي ومدينة القدس، مؤكدة على ملكية اليهود لهذه المدينة والصلات التاريخية والدينية التي تربط اليهود بالقدس، كما تصورها في صورة جميلة وتنسب إليها أجمل الصفات. ويظهر هذا في قصة אהוד עולה לירושלים "إيهود يهاجر إلى القدس"[25].

القدس في الأدب الموجه للصبية.

أما القدس في المجموعة القصصية التي كتبها يونا كوهين خصيصًا للصبية الإسرائيليين، فقد جاءت على النحو التالي:

مكانة القدس

1 - مكانة القدس لدى اليهود خارج فلسطين

- مكانتها الدينية

تحظى القدس بمكانة متميزة لدى جميع أصحاب الديانات السماوية الثلاث، إلا أن اليهود يحاولون دائمًا الاستئثار بها والادعاء بأنها تحظى بمكانة دينية خاصة لديهم زمن داود عليه السلام، حيث ظهر فى عصره تطور جديد تم فيه الربط بين السياسة والدين بالأرض، فاتخذ من مدينة القدس مقرًا لحكمه، وهي مدينة كنعانية الأصل لم تكن لها

قداسة معينة لدى اليهود، إلا أن داود اتخذ هذه المدينة المحايدة مركزًا لحكمه لكي يجمع حولها بقية المناطق الفلسطينية، ويحوّل في الوقت نفسه مركز الحكم وربطه بالإرادة الإلهية واعتبار نفسه ممثلًا للحكم الإلهي. ولكي يعطي المدينة نوعًا من القداسة، حرّم على اليهود التعبد في أي مكان آخر غير القدس، وبهذا ارتبطت العبادة بهذه القطعة من الأرض، فيها يقدم اليهودي قرابينه ويتقرب إلى الله. وأصبحت القدس قبلة اليهود وتركزت العبادة فيها وانتهت الأهمية الدينية لبقية المدن والأماكن.[26]

كما أصبحت القدس منذ ذلك الحين تشغل مكانًا مركزيًّا في الوجدان اليهودي ومركز الدين، يتجه إليها اليهود ويتذكرونها في صلواتهم ويحجون إليها.[27]

ويعكس الأديب في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس" مكانة القدس الدينية في قلب اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين وأنهم يعتبرونها قبلتهم الدينية التي يتوجهون إليها وقت الصلاة ووقت الضيق.

"ظلوا مخلصين في قلوبهم- لعقيدتهم اليهودية، وجّهوا وجوههم تجاه القدس المدينة المقدسة لليهود دائمًا وأبدًا ويقولون اسمع يا إسرائيل"[28]

ويصور هنا يونا كوهين مكانة القدس في العقيدة الدينية اليهودية لليهود المتدينين وفي الفكر الديني الإسرائيلي، فهي كما يصورها قبلتهم، وإذا كانت هي مدينة مقدسة يتم الصلاة والتوجه ناحيتها فإنها تستحوذ على القلوب والعقول وتشغل البال والاشتياق إليها بشكل كبير، فيصور الأديب ذلك الاشتياق والحب الجارف للقدس، ويجعل أهم شيء يشغل بال اليهودي الذي يعيش خارج فلسطين القدس والشوق إليها، فيربط اليهودي برباط روحي نفسي بالقدس، فيقول على لسان أبطاله:

"الحمد الله، يكفينا إن وجد قليل من الخبز لسدّ جوعنا والمياه لريّ ظمئنا، فالعطش الحقيقي والكبير في قلوبنا هو للقدس[29]."

ويعكس هنا الأديب للشباب الإسرائيلي حال اليهودي خارج فلسطين من حيث حبه للمدينة المقدسة وتطلعه إليها، في محاولة واضحة لربط اليهود في شتى بقاع الأرض بالقدس.

التطلع للدفن فيها

يصل الارتباط اليهودي بأرض القدس -حسب زعمهم- إلى حد يجعل اليهود يحرصون على شراء قطعة أرض في القدس لكي يدفنوا موتاهم في الأرض المقدسة، وقد جرت

العادة في الشتات أن يستحضروا ترابًا من أرض فلسطين لكي ينثر فوق قبور الموتى من اليهود، ويقال في الفلكلور الديني في التلمود إن جثة الميت خارج فلسطين تزحف تحت الأرض بعد دفنها حتى تصل إلى الأرض المقدسة[30].

ويصور يونا كوهين في قصة מטהרן לירושלים "من ظهران إلى القدس" اهتمام اليهود وخاصة العجائز منهم بالقدس ورغبتهم الجامحة في الدفن فيها من خلال امرأة عجوز تعيش في فارس ترغب في الدفن في جبل الزيتون بالقدس، لما لها من مكانة دينية عندها، وتقدم على ذلك من خلال إقدامها على شراء قبر في القدس لتدفن فيه.

"في إحدى القرى الواقعة في شمال فارس، كانت هناك امرأة عجوز أرادت شراء مكان تدفن فيه في جبل الزيتون بالقدس، وذات مرة دُعيَ إلى تلك القرية مبعوث من القدس جاء لجمع تبرعات صندوق رابي مئير بعل هنيس لصالح فقراء القدس، فطلبت منه المرأة أن يشتري لها قبرًا في القدس في جبل الزيتون. أعطته المرأة مبلغًا محترمًا ووعدها بمكان في جبل الزيتون، أعطاها وصلًا مختومًا بختم جمعية دفن موتى القدس"[31].

وكان هذا بالفعل حال كثير من اليهود- خاصة المتدينين الذين يحبون القدس ويرتبطون بها روحيًّا ودينيًّا ونفسيًّا، وكان تقدير يهود الخارج للقدس وحبهم لها يجعلهم يفعلون كل شيء من أجلها ومن أجل مكانها، فيتبرعون من أجل فقرائها معتبرين هذا واجبًا دينيًّا.

- التطلع للهجرة إليها

ارتبط اليهود المتدينون بالقدس ارتباطًا دينيًّا محضًا، وكانت لها مكانة دينية كبيرة لديهم، إلا أن الصهيونية نظرت إلى القدس نظرة سياسية بحتة واستغلتها فعملت على إثارة عواطف يهود العالم إلى القدس القديمة حتى تكون أداة التأثير على العقول وامتلاك النفوس، ويسهل على هؤلاء الهجرة إلى وطن اليهود في فلسطين.

ويصف كوهين في قصة יאסופה "ياسوفا" مدى تطلع اليهود للهجرة إلى فلسطين وإلى القدس على وجه الخصوص، بوصفها أهم وأقدس المدن ولما لها من مكانة دينية.

"إنهم علّموا الحاخام أبراهام والقادمين إلى بيته والجيران قصيدة:

صاحب الجلالة، تبجل اسمك، تبارك وتعالى إلى مدينة صهيون جبل قدسك، هناك نسعد ونهاجر.

غنـوا القصيـدة بحماس مرة ومرة أخـرى رددوا وغنوا بحماس بالـغ. وحكى المبعوثون حكايات جميلة عن كل واحدة من المدن الأربع المقدسـة في فلسـطين: القدس، الخليل، طبريا وصفد.[32]

ويؤكـد يونـا في قصـة مـن طهـران إلى القدس تطلـع يهود الخـارج للهجـرة إلى القدس المقدسة، وفرحتهم العارمة لهجرتهم إليها.

"عندمـا وصلـت إلينا البشرى الكبيرة بأن الله أعاد شـعبه قمنـا وجئنا إلى هنا، ونحن في الطريق إلى القدس".[33]

2 - مكانة القدس عند اليهود القدس.

إذا كانت القدس تحظى بمكانة مهمة لدى اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين كما يصورها الأديـب، فـإن اليهود الذين يعيشـون في القدس نفسـها يرتبطون بها ويحبونهـا حبًّا جمًّا، كما يصورهـم يونا كوهين في قصـة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي مـن القدس القديمة" من خـلال بطله نفتـالي، الصبي الذي يرتبط بالقـدس ولا يتحمل الحياة بعيـدًا عن تلك المدينة المقدسة.

"حقًّـا أحـبَّ نفتـالي القدس القديمة حبًّا جمًّا. وذات مرة سـافر مع والده إلى بتاح تكفا عند أقاربه. وقد مرّ عليه أسبوعان في هذه المدينة، وكان في نظر نفتالي هذا كأنه بعيد عن بيته أكثر من سنة أو سنتين".[34]

ولا يقـف الحد عنـد الحب والارتباط الدينـي والروحي بين اليهود القـدس، بل إنهم أيضًا يتفاخرون بمنشئهم المقدسي وحياتهم فيها.

"لاتتعجبـوا مـن نفتالي الذي يفخـر دائمًا أمام زملائه، إنه لا يفخر بأنـه صبي سريع، أو أنه منضبـط جدًا وينفذ وصايا والديه ومعلميه، إنـه لا يفخر بهذا، بل يفخر بشيء واحد، وهو أنه من مواليد القدس القديمة. نفتالي يحب القدس القديمة للغاية. إنه يعرف كل فناء وكل زقاق ضيق في المدينة القديمة، والده وجده ووالد جدّه ولدوا في هذه المدينة.[35]"

ويحـاول الأديب هنا غـرس فكرة الارتباط الروحي والنفسي بـين اليهود والقدس الشرقية العربيـة، في محاولـة منـه أن يغـرس في الشبـاب الإسرائيلي مـدى أحقية اليهـود في القدس الشرقية وأن لها مكانة سامية لدى اليهود تؤهلهم ليكونوا أصحابها.

وربما كانت للقدس مكانة دينية لدى اليهود قبل ظهور الحركة الصهيونية التي أفسدت هذه المكانة وحولت طبيعتها وجعلتها علاقة مادية، الهدف منها الاستيلاء على القدس وطرد العرب منها.

والأديب يريد أن يغرس في الشباب الإسرائيلي الصاعد فكرة التمسك الديني بالقدس ومكانتها المقدسة عند اليهود ومالها من أهمية مزعومة.

واقع حياة اليهود في القدس.

ظل الوجود اليهودي في منطقة القدس محدودًا للغاية على مر العصور، حيث كانوا قلة قليلة فيها (حتى بداية القرن العشرين) ولم يهاجر إلى القدس وخاصة الشرقية -إلا المتدينون والفقراء والعجزة الذين كانوا يبغون الموت فيها. وقد كتب مؤرخ أميركي عن واقع حياة اليهود في بداية القرن العشرين يقول: إن يهود القدس فقراء وكسالى، ضعاف الأجسام والعقول، ويبدو أن القدس محطة يتلاقى فيها اليهود المتعصبون، المشوهون العجائز ليعيشوا هنا على الشحادة والإحسان وليقضوا بقية العمر ينوحون أمام حائط البراق.[36]

ويعكس يونا كوهين في قصة עינים "عينان" حقيقة الحياة التي كان عليها اليهود الذين عاشوا في القدس الشرقية، حيث كانوا قلة قليلة من العجائز والشيوخ يعيشون حياة بائسة تعاني من الفقر والحرمان، ويقوم الشيوخ بتلاوة المزامير أمام حائط البراق لدرّ العطف عليهم ويعيشون على الشحاذة.

"زادت هجرة العائلات اليهودية من المغرب إلى القدس. وهاجر في إحدى قوافل الهجرة- من المغرب أيضًا شلومو من عائلة بردوجو. وكان أعمى. وقد سار يوميًّا من غرفته الصغيرة في حي "نحلت شبعا" إلى المدينة القديمة، قد ساعده أناس طيبون، كان معظمهم أطفال، في اجتياز الطرق. جلس شلومو على السلالم التي في الممر المؤدي إلى حائط البراق. وقد جلس هناك أيضًا يهود آخرون عجائز وضعفاء لم يجدوا مصدرًا آخر للرزق. وقد أطلق عليهم اسم فقراء الحائط. وقد أكثروا من الصلاة ولا يتوقف لسانهم عن تلاوة فقرات من سفر المزامير. فقط عندما يقوم أحد المارة بوضع صدقة في يدهم المبسوطة يقولون شكرًا، ثم يواصلون تلاوة المزامير وبهذا الحال يشترون زادًا يطعمون به أنفسهم. كان شلومو أحد فقراء الحائط".[37]

وإذا كانت القدس تضم فقراء ومساكين يعيشون على الشحاذة والصدقات بجانب حائط البراق فإن هؤلاء المساكين يعيشون في مساكن بسيطة عبارة عن أكواخ خشبية متهالكة تدل على فقرهم المدقع.

"مـن الصعـب أن نطلـق لفظ منزل عـلى المكان الذي تعيش فيه أورا، فهـو عبارة عن غرفة مكونة من الخشب القديم المتهالك في إحدى أحياء قطمون في القدس القدس"[38]

وإذا كانـت القدس وخاصة الشرقية، تضم أشـخاصًا يعانون فقرًا مدقعًا ويعيشون في أكواخ ضيقة، فإن القدس الغربية الجديدة تضم بجانب الفقراء يهودًا أثرياء وشوارع واسعة جديدة.

"ذات مرة سارت نيلي وأختها إيمونا مع والديهما لشراء شيء ما من شارع يافا، وفي طريقهم نظـروا في باترينات العرض في الشارع الرئيسي بالقـدس، فجأة توقفت نيلي في مكانها كأنها تثبتت بمسـامير؛ فقد رأت بالقرب من محطة الأتوبيسـات إيجد، التي تقع وسـط شارع يافا شخصًا ما جالسًا على الأرض، ملابسه رثة وفي قدميه حذاء مرقع، أمامه شوال رثّ وممزق؛ قطع صابون؛ أربطة أحذية، علب ورنيش أحذية، أمشاط، دبابيس شـعر وغيرها، ويتوجه الرجل إلى المارة ويتمتم: اشتروا أيها الرحماء اشتروا إنه رخيص، رخيص[39]".

ويعكس الأديب هنا في نظرة واقعية واقع حياة اليهود في القدس وطبيعتها، فيصف شوارع القدس الواسـعة وأزقتهـا الضيقة، والناس فيها وحياتهم الاقتصاديـة وطبيعة العمل الذي يمارسـه اليهود الفقراء فيهـا، وهنا نظرة واقعية، حيث إن القدس ليسـت جنة عدن يحظون فيها بالملك والثراء والحية الكريمة، كما حلموا قبل هجرتهم إليها بل معاناة من فقر وحرمان.

استيطان القدس الجديدة

في القرن التاسـع عشر تم تأسـيس أحياء جديدة خارج أسـوار القدس العتيقة، وشـهدت المدينـة في القـرن العشرين هجرة يهودية أوروبية منظمة وكثيفة هدفت إلى اسـتعمار القدس بشـكل خاص وفلسـطين بشكل عام، ومع ازديـاد وتيرة الهجرة اليهودية في القرن التاسـع عـشر ازدادت حركة الانتقال إلى باقـي أحياء المدينة الجديدة، وخلال فترة الانتداب تراجع الاسـتيطان اليهودي في القدس البلدة القديمة بسـبب نمو الأحياء الجديدة خارج الأسوار التي توفرت فيها الخدمات العصرية.[40]

ويعكـس الأديب في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس" جهود قادة الصهيونية الأثرياء في حركة الاسـتيطان اليهودية في القدس الجديدة، فيصف جهود الزعيم الصهيوني الثري موشيه مونتفيوري في إقامة تلك الأحياء الجديدة في القدس.

"بنـى موشـيه مونتفيوري خمسـة أحيـاء في القدس الجديدة وتسـمى على اسـمه، وهو من مواليد مدينة لندن"[41]

ولا شك أن الهدف من تذكير الشباب بما فعله زعماء الصهيونية من أجل استيطان القدس، هـو تعريف الشبـاب الإسرائيلي بهـؤلاء الزعماء ودورهـم وزرع حبهم في قلـوب الشباب الصاعد وتمجيدهم.

ولم يقـف الأمـر عند حد جهود زعـماء الصهاينة فقط، بل إن اليهود أنفسـهم، منهم من قام بالهجرة تطوعًا وإنشاء أحياء جديدة خاصة بهم في القدس الجديدة، وهذا ما يعكسه كوهين في قصة עינים "عينان".

"قبل ذلك بسـنوات كثيرة أقبل إلى فلسـطين مهاجرون من المغرب كثيرون، وكان قائدهم الحاخام دافيد بن شـمعون الذي شـجعهم على الهجرة إلى فلسـطين. هؤلاء المهاجرون من المغـرب أطلق عليهـم أبناء الطوائف الشرقيـة في القدس "مغاربة" وقد بنـوا حيًّا صغيرًا في شارع "ميلا" في القدس، وكان اسم ذلك الحي "محنه يسرائيل" وهو من الأحياء الأولى التي بناها يهود بمالهم خارج الأسـوار. وقد نظر إليهم على أنهم شـجعان تجرؤوا على السـكن في حي خارج أسوار القدس القديمة[42]".

وفي عجالـة، يتناول الأديب الاسـتيطان اليهـودي في غرب القدس ويصـف اليهود الذين اسـتوطنوا هذه الأحياء بالشجعان وأنهم يتحلون بالجرأة والجسـارة لكي يزرع في الشباب الصاعـد هذه الصفات، والتي يفتقدها اليهود، والحقيقة أن اليهود الذين وفدوا على المدينة الجديـدة قـد دخلوها بحيل مختلفة أثناء الحكم العثماني وفي عهـد الانتداب البريطاني الظالم، عـدد كبـير منهم عدته حكومـة الانتداب نفسـها مهاجرين غير شرعيـين لمخالفتهم قوانين الهجـرة. والأراضي التـي نزلها هـؤلاء المهاجرون غير الشرعيـين أراضٍ عربية اقتطعت من القرى العربية.[43]

ولم يكـن في الأمـر جرأة أو شـجاعة، بل اغتصاب لحقوق العـرب وأراضيهم وجبن وغدر وليـس كـما يريـد الأديب أن يغـرس في قصصـه الموجهة للشبـاب الإسرائيـلي الصاعد من مغالطات تاريخية واضحة.

ادعاء الحق الديني والتاريخي في القدس

حائط البراق: وادعاء الحق اليهودي فيه

من المعروف أن اليهود لم يكن لهم أثر مقدس في فلسـطين، فبحث زعماؤهم عن وجود رمز دينـي يجمع يهود العالم للإيمان به ويثير العواطف الدينية لديهم، فابتدعوا ما يسـمى "حائط

المبكى" يؤدي اليهود أمامه طقوسهم الدينية، وتلك عادة قد تفشت خلال الحكم العثماني، بشكل خاص خلال القرن السادس عشر[44]. وقد زعم اليهود أن هذا الحائط هو جزء من سور كان حول هيكل سليمان.

وقد سمى الحائط "حائط المبكى" لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح، بل جاء أيضًا في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التاسع من آب. وقد ترسخت صورة الحائط في الوجدان اليهودي والصهيوني واعتبروه من الرموز اليهودية التي تربطهم بفلسطين وتعطيهم الحق التاريخي فيها[45].

ويرتفع حائط المبكى عن سطح الأرض حوالى ثمانية عشر مترًا، الستة الأولى منها مبنية بحجارة مستطيلة ضخمة هي نوع من أحجار أساسات هذا السور، يضاف إليها أربعة عشر سطرًا من حجارة أصغر، يبدو أنها جزء من عملية تعلية للحائط، وترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده، أما الأساس المطمور للسور تحت الأرض فهو مكون من تسعة عشر سطرًا من الأحجار المستطيلة الضخمة، وبالإمكان رؤية جزء من هذا الأساس من الكهف الملاصق للحائط من جهة الشمال، أما بقية السور من الجهة الغربية فقد اندثرت ولم تبق سوى نتوءات تبرز من مسافة أخرى، وهناك اثنا عشر مترًا من الضلع الجنوبي للسور ما تزال بارزة.[46]

ويعكس يونا كوهين في قصة "نفتالي من القدس القديمة" مدى أهمية الحائط من الناحية الدينية؛ حيث يقوم يهود القدس بالصلاة لديه كل سبت، كما أنه يعد قبلة دينية مهمة يفد إليها يهود من كل بلدان العالم للزيارة والصلاة والتبرك بهذا الحائط، ويصف على لسان بطله نفتالي الحائط، في محاولة منه لتعميق العلاقة بين الصبي اليهودي والحائط لإثبات قدسيته لليهود.

"كان نفتالي يذهب كل يوم سبت مع والده للصلاة بجانب حائط البراق. عرف نفتالي عدد صفوف الحجارة الكبيرة الظاهرة والواضحة لعين الجميع، هم تسعة صفوف. عرف أيضًا عدد الصفوف التي على مرّ السنوات قد غاصت في الأرض: خمسة صفوف هي التي غاصت، ويوجد أحد عشر صفًّا آخر لكن الحجارة بها صغيرة جدًا. عندما قدم نفتالي إلى هنا كان قلبه يمتلئ بالسعادة. هنا بجانب الحائط الذي هو بقايا من الهيكل رأى يهود من كل الأنواع، كبار وصغار، أشكناز وسفارد، أبناء كل الطوائف، منهم من قدم من بلدان بعيدة للزيارة، للصلاة والعودة إلى بلدانهم، منهم من يصلي بصخب وصياح، ومنهم من يصلي في

هدوء، فقط شفاههم تتحرك ولا يسمع لهم صوت."(47)

ويصـور هنـا الأديب مدى إقبال جميع اليهود على هذا الحائط –وإن كان يعكس التناقضات الجوهريـة بين اليهود على المسـتوى الاجتماعي والدينى، واختـلاف طريقة الصلاة لديهم– ويركز الأديب على أمر واحد وهو تقديس جميع اليهود لهذا الحائط، واعتقاده الراسـخ على لسان بطله أن هذا الحائط هو من بقايا هيكل سليمان عليه السلام.

وفي لوحـة أدبيـة إبداعية يربـط الكاتب بين اليهود وحائـط البراق ارتباطًا وثيقًـا وقويًّا من خـلال بطله الصبـي الصغير نفتـالي المقدسي الذي يرتبط بهـذا الحائط ذي الأهميـة الدينية، حتـى إنه لا يسـتطيع تحمل الحيـاة بعيدًا عنه، وإذا مـا ذهب بعيدًا عنه فإنـه يحلم به ويشتاق للعودة إليه.

"أغمـض عينيـه وها هـو حائط مرتفع يقـف أمامه، نظر وهـا هو حائط الـبراق. وهو يرى قطرات كبيرة تنزل منه إنها دموع، دموع تتساقط من الحائط، القطرات تنزل وتتجمع في نهر فياض. أيضًا صوت، إنه يسـمع صوتًا يصدر من أحجار حائط البراق يقول: نفتالى لماذا لا تأتي إلي، لماذا تركتني؟ لا يأتي أي شـخص إلي وأنا وحيد. فقام نفتالي في الصباح، فتح عينيه وقال لأبيه: أبي لنعد إلى القدس حالا"(48).

ويعكـس الكاتب هنا الارتباط النفسي والروحي الديني بين الصبي اليهودي نفتالي وحائط الـبراق كجزء من المقدسـات اليهودية، كما يدعي اليهود، ويربـط الكاتب اليهود بهذا الأثر الدينـي ويربـط الشباب اليهودي به والتمسـك به كجـزء من العقيدة اليهودية وطقوسـها، وحثهم على عدم تركه للعرب مطلقًا والاستيلاء على هذا الجزء المهم من المدينة العربية.

وهنـا يربط الأديب اليهود بهذا الحائط، محـاولًا ادعاء الحق التاريخي والديني لليهود في هذا المكان المهم، وأن اليهود من حقهم الحياة فيه وبجواره لأنه ملكهم وخاص بهم ويمارسـون طقـوس العبـادة فيه، وأن هذا حقهم الطبيعي، حقهم الدينـي التاريخي الذي لا جدال فيه، وهـذا مـا يؤكده الأديب على لسـان رجال الديـن في قصـة מטהרן לירושלים من طهران إلى القدس ليعطي بعدًا دينيًّا طبيعيًّا لهذا الادعاء.

"في اليوم الثالث من أيلول، الذي هو يوم ذكرى موت رئيس حاخامات فلسطين الحاخام الجـأون الرابي أبراهام يتسـحاق هكوهن كوك، ذكرى صديـق مباركة، تجمع المهاجرون في

مركـز المعسـكر، وروى المبعـوث عن حياة الحاخـام، كيف كان يقرب اليهـود البعيدين إلى اليهوديـة، وكيف واجه بثبات رجال السـلطات البريطانية الذيـن حكموا بلدنا، ودافع عن حق اليهود في الهجرة إلى فلسطين والصلاة دون مضايقات بجانب حائط البراق".[49]

ويعكـس هنا الكاتب جهود رجال الدين اليهـودي في إثبات مدى أحقية اليهود في الصلاة بجانـب حائـط الـبراق الـذي يطلقون عليه حائـط المبكـى، وفي رؤيتهم في أن هـذا الحائط هـو جزء مـن حقوق اليهود في القـدس وأن من حقهـم الصلاة عنـده دون مضايقات، بل إن رجـال الدين مـن منطلق إيمانهم بهذا الحـق الديني يصارعون ويناضلـون ضد الإنكليز والعرب لإثبات أحقية اليهود في الصلاة في هذا الجزء المهم من القدس.

وقبـل أن نوضح حقيقة هذا الحائط المهـم، علينا أن نوضح أمرًا مهمًّا للغاية، وهو أن اليهود أنفسهم يتخبطون فيما بينهم بشأن هذا الحائط وحقيقته؛ فيعتقد كثير منهم أنه من بقايا هيكل سـليمان "عليه السلام" ويتناسـون أن الإمبراطور هدريان قام بتخريب القدس كلها وتغيير معالمها تمامًا، كما دمرت المدينة عدة مرات. كما يزعم البعض من اليهود أن هذا الحائط ليس إلا بقية من سور داود، وقال البعض إنه جزء من حائط سليمان، ونسبه آخرون إلى المكابيين اليهود[50]، إلا أن الحفائر الإسرائيلية التي جرت وما زالت- منذ احتلال القدس عام 1967 لم تسفر عما يمكن أن يدعم هذه المزاعم على الإطلاق[51].

وفي حقيقـة الأمـر، إن حائط البراق الذي يطلق عليه خطأ "حائط المبكى" هو جزء لا يتجزأ مـن الحـرم الشريف الذي يضم مسـجدي قبة الصخرة والأقصى، وهـو مربط البراق الذي أسري به الرسـول ليلة الإسراء ثم عرج بعد قيده إلى السماء، وبالإضافة إلى هذا، فإن حائط البراق الذي يجعله اليهود ركيزة لدعواهم بحق الاستيلاء على المدينة القديمة هو أثر إسلامي صرف، وقف إسـلامي لاينازع فيه. وقد ثبت ذلك ثبوتًا قاطعًا للجنة الدولية التي حققت في هـذا الموضـوع عام 1930 ونظـرت في جميع الوثائق والبيانات التـي قدمت إليها من قبل العـرب واليهود وحكومة الانتداب، ثم أصدرت حكمها ونصه: "إن للمسـلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريـف التي هي من أملاك الوقف وللمسـلمين أيضًا تعود ملكيـة الرصيف الكائن أمام الحائـط وأمـام المحلة المعروفة بحـارة المغاربة المقابلة للحائط بكونه موقوفًا حسـب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير.

ولايسـتطيع اليهود الطعـن في هذا الحكم لأن اللجنة التي أصدرتـه دولية وقد ألفها مجلس

جمعية الأمم، ولابد أن نؤكد أمرين: الأول، أن اليهود استماتوا في الدفاع عن الحائط وقدموا جميع ما في حوزتهم من وثائق على الصعيد المحلي والعالمي، والثاني: إن دولة الانتداب الوفية لوعد بلفور أقرت الحكم ونفذته وإن اليهود التزموا به مقرين بنزاهة اللجنة وعدالتها[52].

وعلى الرغم من هذه الحقائق الواضحة وضوح الشمس في أن الحائط عربي إسلامي ملك للمسلمين، وهو جزء لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف، وأنه يخلو من أي آثار يهودية، إلا أن الصهاينة غالوا في الادعاء بالحق اليهودي الديني في الحائط. وطالبت لجنة الدفاع اليهودية عن "حائط المبكى" في نداءاتها لليهود للعمل على خلاص الحائط من أيدي العرب وتوضيح مكانته للجميع ومدى أهميته بالنسبة لإسرائيل في الزمنين السابق والحاضر[53]. وعمل الصهاينة على إثارة المشاعر الدينية لدى اليهود لأسباب سياسية محضة. وأصبحت مسألة النزاع على الحائط صورة من النزاع الأكبر على ملكية القدس وفلسطين شارك فيها حتى الأدباء بأقلامهم، مبرزين مدى أهمية الحائط لدى اليهود وارتباطهم به والحق الديني اليهودي فيه، مسخرين بذلك أقلامهم في خدمة الادعاءات الصهيونية، مخالفين الحقائق الواضحة، غارسين في عقول ونفوس الشباب الإسرائيلي هذه الأباطيل والادعاءات الكاذبة ليتمسك هذا الشباب الصاعد بأرض فلسطين المحتلة على أساس ديني.

- الادعاء بأن القدس مدينتهم وعاصمة ملكهم

يدعي اليهود باطلًا أن القدس مدينة يهودية خالصة ملكًا لهم وحدهم، وأنها ظلت يهودية على مرّ العصور والأزمنة، وأنها خلال هذه القرون الطويلة كانت في يد غزاة ومحتلين. ويدعي اليهود الحق التاريخي والديني لهم في القدس منذ عصر داود وسليمان (عليهما السلام)، حتى إن اليهود خارج فلسطين يعتقدون اعتقادًا راسخًا بأحقيتهم في القدس، ويرون أنها مدينتهم المقدسة، وعاصمة ملكهم القديم والجديد، وهذا ما يدعيه أيضًا الأديب ويحاول ترسيخه في عقول الشباب الإسرائيلي من خلال قصصه ويظهر ذلك في قصة מטהרן לירושלים "من طهران إلى القدس".

"ربما بعد أسبوع، ربما بعد أسبوعين نهاجر بمشيئة الله تعالى إلى القدس، ونقيم طقوس السبت في مدينة الملك داود"[54].

ويطلق الأديب على مدينة القدس مدينة الملك داود، مدّعيًا الحق التاريخي الديني لليهود فيها، وكأنها ظلت خاوية طوال الحقبة التاريخية منذ عصر داود. ودائمًا ما يركز اليهود على داود بالذات واتخاذه كرمز للملك، ذلك لأن داود هو الذي استولى على القدس

قديـمًا وجعلها مركز مملكته السـياسي والديني، وكان عهده في جملتـه عهد يسر ورخاء [55]. وأصبحت القدس في عصره العاصمة السياسية والدينية، وتاريخ اليهود بعده وبعد سليمان تاريـخ متدهـور وانحلال وانقسـام وافتقار. ومـن الطبيعي أن ينظر الإنسـان إذا ما حلّ بما حولـه الانحـلال والتدهـور إلى عـصر ماض يعكـس عليه آمالـه وتطلعاتـه، وعندما جال اليهودي العنصري بنظره إلى العصور السالفة توقف عند عصر داود وسليمان، ومع أن هذا العصر بالنسـبة لما جـاء بعده عصر ذهبي حقًّا أخذ العقل اليهـودي ينصبه في مخيلته مثالًا لما يجب على التاريخ أن يكون[56].

ومـن هنـا كان اليهود يربطـون بين إسرائيل الحاليـة والمملكة الداوديـة القديمة في ربط بين المـاضي والحـاضر، وكأن التاريـخ الطويـل توقف وقفز مـن عـصر داود إلى العصر الحالي؛ لتظل القدس في نظر اليهود هي مدينة الملك والدين، زاعمين أنها مدينتهم المقدسـة ومدينة ملكهم.

"في صيحات فرح وشـكر دخلوا المعسـكر، وبدؤوا جميعًا في إنشاد أغنية فلنهاجر هجرة إلى القدس مدينتنا المقدسة وداود الملك ملكنا".[57]

- ربط الماضي بالحاضر.

مـن المعروف أن اليهود لايملكـون أي آثار –معالم– دينية في القـدس الشريف، ولكن بعد ظهور الصهيونية عمل زعماؤها على ربط الدين بالسياسـة، واتخاذه كوسـيلة من أجل إذكاء مشاعر اليهود تجاه القدس، وراحوا ينسـجون الأساطير حول الحق الديني التاريخي لليهود في القدس، ويبحثون عن شـتى السـبل التي من خلالها يربطون اليهود بهـذه المدينة العربية المسلمة، فراحوا ينسبون كل حجر وزاوية وكل جبل وركن إلى اليهود وإلى أجدادهم الذين مروا على هذه المدينة ويربطون اليهود بكل أثر ومعلم إسلامي عربي، مدّعين أنه أثر يهودي خـاص باليهود، بل إنهم راحوا يبحثون في توراتهـم المحرفة عما يثبتون به ادعاءاتهم الباطلة وإلباسها ثوب الحق بشتى الوسائل.

وفي محاولـة ترسـيخ هذا الفكر الباطـل في عقول الشباب الصاعد، عملـوا على ربط الماضي القديـم والحاضر، وأطلق الأدباء العنان لأنفسـهم لتوطيد مزاعمهـم، فنجد أن الأديب في قصـة "نفتالي من القدس القديمة" ينسـب كل آثار ومعالم القـدس إلى اليهود، محاولًا تعليل مزاعمه من خلال اسـتشهاده على كلامه من فقرات التوراة، محاولًا إثبات أن معالم القدس القديمة هي معالم وآثار تاريخية يهودية صرفة.

"سمع من والديه وجدّه كثيرًا عن الأماكن المهمة في المدينة، والتي تظهر من فوق قبة معبد "نيسان بق" المرتفعة. وكان يريهم من فوق قبة هذا المعبد جبل الزيتون، الجبل الكبير الممتلئ كله بشواهد قبور يهودية والتي أحضرت للدفن في هذا الجبل؛ لأن المكان مقدس بالنسبة لليهود ولأنه أيضًا قريب من جبل الهيكل ومكان الهيكل. من هنا أيضًا نرى نصبًا كبيرًا على شكل مبنى يدعى "يد أبشالوم" كان نفتالي يفتح كتاب التناخ ويقرأ في الإصحاح الثامن عشر، الفقرة الثامنة عشرة من سفر صموئيل الثاني "أخذ أبشالوم وأقام لنفسه وهو على قيد الحياة النصب الذي وادي الملك، لأنه قال ليس لي ابن يخلد ذكر اسمي"، ودعا النصب باسمه وهو يدعى أبشالوم إلى هذا اليوم.

عندما توجهوا ناحية اليمين رأوا ثانية مكانًا له اسم غير مألوف "بيت المرض" عاد نفتالي وفتح التناخ وقرأ في سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة الخامسة "وضرب الرب الملك وكان أبرص إلى يوم وفاته وأقام في بيت المرض".

وعندما رفع الزوار أعينهم ونظروا بعيدًا عن هناك، بدا المكان وكأن به نبع يدعى "المنحنى" هناك بجوار هذا النبع قد توج صادوق الكاهن النبي سليمان بن داود ملكًا على إسرائيل، وبجوار هذا النبع قد نفخوا في البوق وصاحوا: يحيا الملك سليمان، وروي عن هذا في سفر الملوك الأول في الإصحاح الأول"[58]

ويتحدث الأديب هنا وكأن الزمن يتوقف منذ عهد التناخ، فيربط بين الماضي الغابر البعيد في عهد المملكة اليهودية القديمة وبين دولة إسرائيل الحالية والقدس العربية المغتصبة، زاعمًا أن كل شي منذ عهد التوراة وحتى الآن كما هو لم يتغير البتة، وكأنه كما كان قديمًا (يهوديًّا فقط، حسب زعمهم) لم يدمر بفعل الزمن أو أحداث التاريخ الطويل.

ويهدف الأديب من هذا الربط بين الماضي والحاضر والادعاءات بأن كل شيء يهودي وملك لليهود، وإلى غرس مفاهيم صهيونية في الشباب الصاعد، وهي أن القدس ملكية يهودية، وحق ديني وتاريخي يهودي، فهي مكان المملكة القديمة وأن المدينة المقدسة حق ديني تاريخي لليهود، وأن القدس الشرقية بالذات التي تم احتلالها عام 1967 هي جزء لا يتجزأ من الملكية اليهودية وليس للعرب أي حق فيها؛ فهي مقر ومكان المملكة اليهودية القديمة.

الصراع على القدس

عندما ازدادت مطامع الصهاينة في فلسطين والقدس وكثفوا نشاطاتهم الإرهابية ضد

العـرب، وازدادت المصادمـات المسـلحة بـين الطرفـين، رفعت سـلطات الانتـداب قضية فلسـطين إلى هيئـة الأمـم المتحدة عام 1947، التي أصدرت قرار تقسـيم فلسـطين إلى دولة عربيـة ودولـة يهوديـة، "وعولجـت القدس معالجـة خاصة، حيـث نص قرار التقسـيم على تدويل القدس باعتباره أفضل وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية في المدينة المقدسة، كما نص القـرار عـلى منطقة القدس، لا مدينة القـدس وحدها، وجعلها تضم بلديـة القدس مضافًا إليها القرى المحيطة بها[59].

وعـلى الرغـم مـن أن القـرار يعتـبر ظلمًا للعـرب ونـصرًا منقطع النظـير للصهاينـة، إلا أن تصريحات زعماء الصهاينة عبّرت عن مطامعهم في فلسـطين والقدس ورفضهم للتقسـيم، فقـد عبّر الحاخام الصهيونى آبا هليل سـيلفر عن موقف الصهاينة من التقسـيم وقبولهم به عـلى اعتبـاره يمثل الحد الأدنى الذي يمكن القبول بـه. وأكد أن الشعب اليهودي قبل قرار التقسـيم على مضض لأنه ينطوي على التضحية بنصف مسـاحة الوطـن القومي اليهودي، وذلك في سبيل تحقيق الاستقلال وإقامة الدولة. بينما يعلن مناحيم بيغن ما يلي: "إن تقسيم الوطـن غير شرعي، ولن يعترف به أبدًا، وتوقيع المؤسسـات والأفراد على اتفاقية التقسـيم باطـل وهو لن يلـزم الشعب اليهودي بـشيء، القدس كانت عاصمتنا وسـتبقى كذلك إلى الأبد. إن شعب إسرائيل سوف يسترجع أرض إسرائيل، الأرض كلها وإلى الأبد[60]".

ومنـذ اليوم الذي صدر فيه قرار التقسـيم، كانت قيـادة الصهاينة قد خططت للقيام بهجوم واسـع قبيل الانسـحاب البريطاني لإحكام السـيطرة على المناطـق التابعة للدولـة اليهودية وفقًا لقرار التقسـيم، وكذلك السيطرة على بعض النقاط الاستراتيجية وطرق الاتصال بين المناطـق اليهوديـة والاسـتيلاء على القرى العربيـة التي تضمها هذه المناطق وطرد السـكان العرب منها، وبالفعل تم الاسـتيلاء على طبرية وصفد وحيفا ويافا، وعند إعلان قيام دولة إسرائيـل في 15 أيار/ مايـو 1948 كانـت القوات اليهوديـة قد دعمت قبضتهـا على مناطق الشريط السـاحلي وشرق الجليل وشـمال النقب، حيث أصبحت المناطـق اليهودية متكاملة ومترابطة إلى حد بعيد.[61]

وبالنسـبة للقدس، فقد تم الاستيلاء عليها بصورة مناقضة للقانون الدولي والأخلاقي، حيث اسـتولى اليهود في 1948 على مدينة القدس الجديدة (الغربية) وقسـم كبير منها عربي، بل وفيها أحياء جميع أصحابها وقاطنيها عرب. واسـتيلاء اليهود على هذه الأحياء العربية وانتزاعها من أصحابها لا مسوّغ له ولا سند، يضاف إلى ذلك أن القرى العربية المحيطة بالقدس التي ضمها اليهود وعدّوها بعد غزو 1948 جزءًا من المدينة الجديدة هي عربية صرف.[62]

وقد أدخل الاحتلال الإسرائيلي في القدس الغربية أراضي قرى فلسطينية قام بتدميرها بعد احتلالها وأقام عليها مباني الحكومة الإسرائيلية، بعد أن اغتصبها ونزع ملكيتها وشرّد أهلها: لقد أخلى الاحتلال الإسرائيلي القدس الغربية من جميع سكانها العرب وكان عددهم في 1948 يبلغ 35 ألفًا تم تشريدهم، ولم يسمح لواحد منهم بالعودة إليها وجلب المستعمرين اليهود إلى القدس.[63]

وعلى الرغم من حقيقة اغتصاب اليهود أكثر من 2, 66 بالمئة من المساحة الكلية لمدينة القدس، وإخلاء القدس الغربية من العرب وطرد أهلها منها في حرب 1948 إلا أن اليهود في تناولهم لقضية الصراع على القدس في مرحلة حرب 1948 تلك المرحلة الحاسمة والمهمة، فإنهم يقلبون الحقائق رأسًا على عقب، فينظرون إلى مدينة القدس بأكملها –الشرقية والغربية– على أنها مدينة يهودية خالصة ملك اليهود وأن العرب هم الجانب المعتدي الذي يهاجم اليهود الأبرياء ويحاصرهم ويعتدي عليهم، وهذا ما يدعيه الأديب في قصة עינים "عينان".

"في حرب 1948 كانت القدس الجديدة والقديمة– محاطة بالأعداء، وقد انقض عرب كثيرون على اليهود القليلين الذين سكنوا في المدينة القديمة[64]".

ثم يتحول الكاتب في قصة "نفتالي من القدس القديمة" للحديث عن المدينة الشرقية بالذات في هذه الحرب ووضع اليهود في المدينة، وما لاقوه من عناء وحصار، موضحًا للجيل الصاعد من الشباب الإسرائيلي مفهوم الحصار الذي واجهه اليهود في القدس في حرب 1948 من العرب والعناء الذي عانوه في قلب صارخ للحقائق وتزييف الوقائع والأحداث الفعلية التي وقعت في حرب 1948.

"كان هذا حصارًا حقيقيًّا، بداية لم يفهم الأطفال ماذا يعني حصار. المعلم الذي درس لهم في البيت، قبل أن يستدعى أيضًا للخروج إلى نوبة حراسة محلية قد شرح لهم، فأخذ ورقة ورسم عليها القدس القديمة، الأحياء العربية وفيها الحي اليهودي، رسم خطًّا حول الحي اليهودي أحمر وثقيلًا، على الخطوط رسم صلبانًا صغيرة وكثيرة، وقال أترون الخط الأحمر من جميع الجهات؟ خلف هذا الخط يقيم الأعداء. هذه الصلبان الصغيرة هي مواقع العرب. للعرب اتصال بالعالم ولديهم طريق للوصول خارج مدينتهم. نحن يهود القدس القديمة ليس لنا اتصال حتى مع إخواننا المقيمين في القدس الجديدة القريبة منا.

القدس الجديدة هي قريبة منا لكن في الحقيقة هي الآن بعيدة عنا. للعرب آلاف كثيرون من

الناس الذين يريدون محاربتنا وطردنا من هنا ونحن قلة. القلة لن تستسلم للكثرة، فنحن على حق لأن بيوتنا هنا وهذه مدينتنا، لذلك لن نرضخ ولن نكون جبناء. قال نفتالي: مثل المكابيين.

حقًّا أيها الصبي الحبيب مثل المكابيين. القليلون الذين على حق استبسلوا وضربوا الكثرة الشريرة وانتصروا عليهم، وسيكون أيضًا هذا الآن، وليساعدنا الله."[65]

ويهدف الأديب ما سبق إلى ما يلي:

- تزييف واضح للحقائق وقلب لأحداث التاريخ، فيدّعي حصار العرب لليهود في مدينة القدس.

- محاولة الأديب ترسيخ فكرة أن اليهود أقلية على حق تحارب أكثرية على باطل في عقلية الشباب الإسرائيلي الصاعد.

- ترسيخ فكرة الحق اليهودي في القدس الشرقية العربية، وتعميق هذا الادعاء في عقول الشباب والدعوة للاستبسال للدفاع عن هذا الحق المزعوم.

- تصوير الجانب العربي في صورة الوحش المعتدي الذي أراد الفتك باليهود والاستيلاء على حق الأقلية اليهودية في المدينة الشرقية.

ويؤكد الأديب باطلًا- على حال اليهود أثناء هذه الحرب ومدى صمودهم وثباتهم وتحملهم المصاعب الكثيرة أثناء هذا الصراع وأثناء الحصار متمسكين بحقهم في القدس الشرقية، ويصف مدى تحملهم الجوع والعطش أثناء حصار العرب لهم وما يعانونه من ويلات الحرب والصراع من أجل هذه المدينة وتحملهم من أجلها.

"لقد شدد العرب الحصار. أيضًا القوافل التي كانت تصل إلى الحي اليهودي في المدينة المقدسة من المدينة الجديدة، مرة كل ثلاثة أيام لم تعد تصل، وكل الطعام الذي كان في المنزل تم تقسيمه إلى وجبات صغيرة ويتم تناول الطعام مرتين فقط في اليوم. كان الآباء والإخوة البالغون يأكلون مرة واحدة فقط في اليوم. وقد قرؤوا صلاة القدوس في أيام السبت على الخبز، لأن الخمر قد نفد منذ فترة، والطفل الذي يطلب من أمه كسرة خبز أخرى أو طماطم صغيرة لم يكن يغضب إذا ما أجابته أمه بأنه لا يوجد"[66].

ويستمر الأديب في تكملة الادعاءات الباطلة التي تصف كذبًا صمود الجانب اليهودي في القدس الشرقية، وهم أقلية أمام أكثرية عربية شريرة يصفها بالمعتدية والمقدرة بالآلاف، واصفًا الشجاعة التي تحلى بها اليهود في الدفاع عن القدس الشرقية وصمودهم واستبسالهم في الدفاع عنها، هادفًا من ذلك إلى زرع روح البطولة والحماس في نفوس الشباب الإسرائيلي للتمسك بالقدس الشرقية العربية والاحتفاظ بها. ويؤكد على مزاعمه في أكثر من موضع.

"الوضع في المدينة القديمة قد تغير؛ لا سلام ولا هدوء، لم يذهب الناس إلى العمل، ولم يذهب الأولاد إلى المدرسة، وفتحت المحلات ساعة واحدة فقط في اليوم وسار الناس بجوار الجدران لكي لا يصابوا من الطلقات، توقع العرب بذلك أن يهرب اليهود من شدة الخوف ويتركوا المدينة القديمة وينتقلوا جميعًا إلى المدينة الجديدة، لكن أبناء القدس القديمة أحبّوا مدينتهم ولم يتركوها، كان العرب يصعدون على أسطح المنازل ويطلقون من هناك إلى داخل بيوت اليهود ماذا فعل اليهود، ملؤوا جولات رمل وأغلقوا كل نافذة بجولات رمل. مرة تلو مرة صعد اليهود فوق الأسطح، أطلقوا على العرب فهربوا. كان يهود المدينة القديمة أبطالًا، قليلون صمدوا أمام كثيرين، كما كان في عصر المكابيين.[67]

وهنا يصف حالة اليهود وقت الحصار العربي وشجاعتهم واستبسالهم في الدفاع عن القدس القديمة. ويوضح هنا الأديب التشبث اليهودي بالقدس الشرقية والحق اليهودي المدّعى في القدس الشرقية وصمودهم في صراع حرب [67] وتمسكهم بها، فهي كما يدّعي الأديب باطلًا مدينتهم التي أحبوها والتي يدافعون عنها أمام الهجوم العربي الغاشم والذي يصفه بصمود اليهود أمام الاحتلال اليوناني.

ويربط هنا الأديب الماضي الغابر بالحاضر وبطولة يهودية زائفة قديمة ببطولة يهودية حالية مصطنعة، في محاولة لقلب حقائق تاريخية واضحة وفي محاولة إرساء وغرس قيم الشجاعة والإقدام والبطولة في روح الشباب الصاعد من أجل التمسك بالقدس الشرقية المحتلة وانتزاعها من العرب بلا تردد، مؤمنين بأنها حقهم المسلوب الذي يجب أن يعود إليهم من العرب الغزاة الذين يشبهون اليونانيين الغزاة الذين احتلوا القدس من قبل.

ومن أجل الأهداف التي ذكرناها، فإن الأديب يصور العرب في صورة الجانب المعتدي الذي يهدف من حصاره للقدس الشرقية إلى الضغط على اليهود وطردهم من مدينتهم، كما يدّعون، والاستيلاء على أملاك اليهود وحيّهم ومعابدهم والسيطرة على حائط البراق، والذي يدعون بأنه من ممتلكاتهم الدينية.

"يريد العرب تجويعنا، إنهم متأكدون أن اليهود سيتوسلون أمام الإنكليز لكي يساعدوهم على الخروج، وأن يظل كل الحي والمعابد وحائط البراق للعرب، إنهم يريدون طرد اليهود دون حرب من القدس القديمة"[68].

ولاشك أن ما فعله اليهود وما زالوا يفعلونه كل يوم في القدس –الشرقية والغربية من قبل– يعكسه الأديب في قصصه ولكن مع قلب للحقائق تمامًا، حيث إنه يقلب الأدوار والحقائق متّبعًا سياسة الإسقاط لخداع الجيل الصاعد تاريخيًّا.

ويزيف الأديب الحقائق، فيصور القدس الشرقية كمدينة يهودية تسقط في يد العرب أثناء حرب 1948 بعد دفاع اليهود عنها ببسالة، فهي، كما يصور للشباب الصاعد حتى سقطت في أيدي العرب فقتلوا الشباب وأسروهم وطردوا النسوة والشيوخ إلى المدينة الجديدة الغربية، ويظهر ذلك في قصة עיניים "عينان".

"انقض عرب كثيرون على اليهود القليلين الذين سكنوا في المدينة القديمة، الرجال والنساء والأطفال الذين دافعوا ببسالة عن مدينتهم قد قُتلوا في هذه الحرب، وقد طرد العرب المغيرون اليهود من بيوتهم الذين في المدينة القديمة. وقد أخذوا المحاربين الشباب أسرى وطردوا النساء والشيوخ إلى المدينة الجديدة. وقد نزل الشيوخ بألم وبكاء"[69].

ويؤكد الأديب في قصة נפתלי מירושלים העתיקה "نفتالي من القدس القديمة" مصير القدس الشرقية في هذا الصراع، حيث سقوطها في يد العرب والاستيلاء على الحي اليهودي وانتقال اليهود إلى أحياء القدس الغربية.

"الآن يقيم نفتالي في القدس الجديدة. زمن طويل مرّ منذ ذلك اليوم المرّ، دافع اليهود ببسالة عن مدينتهم وعن حيّهم الصغير. دافعوا عن كل بيت، كما واصل الجرحى الحرب وقتل العرب الذين انقضوا عليهم وسقط المحاربون القليلون الذين ظلّوا على قيد الحياة في أسر الأعداء وانتقل الأطفال، بمن فيهم نفتالي وزملاؤه، مع أجدادهم للسكن في حي قطمون في القدس الجديدة".[70]

وأمام التشبث الإسرائيلي المزعوم بمدينة القدس القديمة الشرقية، لابد أن نوضح عدة حقائق مهمة، تُظهر لنا زيف ادعاءات اليهود، وهي أن سكان القدس القديمة كانوا حسب إحصاء 1947 نحو 33,600 عربيًّا مقابل 2,400 يهوديًّا، أي نحو سبعة بالمئة.[71]

وقبل عام 1948 كانت الملكية اليهودية على الأرض بالقدس أقل من ثلاثة بالمئة، وحتى

الحي اليهودي من البلدة القديمة كان يهوديًّا بالاستئجار بصورة رئيسة؛ فأغلبية الحي كانت تخص عائلات مقدسية قديمة بصفة وقف إسلامي، وفيما يخص القدس الغربية فإن الأملاك التابعة لليهود فيها قبل حرب 1948 لم تتعد في مجموعها 20 بالمئة والباقي يخص فلسطينيين مسيحيين ومسلمين وهيئات دولية مسيحية، وكان هذا القطاع يضم الأحياء الفلسطينية الأكثر ثراء، وكذلك أغلبية القطاع التجاري الفلسطيني.[72]

ونتيجة لحرب 1948 وما يتبعها من تقسيم القدس عبر سقوط الأحياء الغربية من المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي وتفريغ هذا الجزء من السكان الفلسطينيين، فقد فرغ شرق المدينة من السكان اليهود وأصبحت حارة اليهود فارغة بالكلية.[73]

ونجد أن القدس كلها شرقية وغربية عربية خالصة ولا حق لليهود فيها مطلقًا وقد استولوا على مدينة القدس الغربية بعد أن طردوا أهلها وقتلوهم وشردوهم واغتصبوا أملاكهم وحقوقهم وأراضيهم.

وأما القدس الشرقية القديمة فكانوا أقلية فيها لاتملك أي شيء، وكانت أملاكهم وقفًا إسلاميًّا لاحق لهم فيها. فلا حق لهم في شرق المدينة أو غربها، وإنما هي ادعاءات باطلة رددوها وعملوا على الدعاية بحقهم في القدس الشرقية لسببين:

السبب الأول- ينسي العرب حقوقهم المسلوبة في القدس الغربية ولايطالبوا بالحق العربي في غرب المدينة، وقد نجحوا بالفعل في ذلك مع مرور الوقت وترويج الادعاءات الصهيونية الباطلة بيهودية القدس الغربية، وأنها منطقة يهودية خالصة خاصة باليهود، صمت العرب عن المطالبة بحقهم المشروع في القدس الغربية.

والسبب الثاني: هو أن يستولوا على القدس الشرقية رويدًا رويدًا ويضفوا عليها الطابع اليهودي من خلال الاستيطان المنظم فيها وطرد العرب منها وسلبها من العرب، كما فعلوا في القدس الغربية.

وهم يزرعون في الجيل الصاعد هذه الأفكار ليؤمنوا بها ويدافعوا عن حقهم المزعوم في القدس الشرقية العربية وليغتصبوها من العرب كحق مشروع لهم من خلال الادعاء بأنها يهودية والحق اليهودي فيها، والادعاء بأن اليهود في القدس الشرقية تم اضطهادهم وحصارهم وطردهم من مدينتهم- كما يدعون- وأن من حقهم العودة إليها ثانية لأن هذا حقهم المشروع حسب زعمهم.

ويؤكد الأديب على هذا الفكر الصهيوني العنصري، فيظهر مدى معاناة اليهود الذين تركوا القدس الشرقية وانتقلوا للحياة في القدس الغربية ويتطلعون للعودة إلى المدينة القديمة ويتملكهم الشوق والحنين إليها على الدوام.

"يصعد نفتالي مع والده سبت على الأقل من كل شهر على جبل صهيون، ذلك الجبل القريب من الحي اليهودي في المدينة القديمة، يقف نفتالي ساعات كاملة ويلقي بنظره على شوارع الحي اليهودي القريب البعيد عنه، فيرى جيدًا جدار المخابئ وبقايا المعابد الجميلة، بحزن بالغ يلقي بنظره على تلك الأماكن التي يعرفها جيدًا والمقربة إليه للغاية ولا يستطيع الوصول إليها"[74].

ويؤكد الأديب الحنين الذي يتملك اليهود الذين تركوا القدس القديمة وحلم العودة إلى هذه المنطقة بالذات دون غيره ولا يقبلون الحياة حتى في القدس الجديدة، لكنهم يتطلعون إلى القدس القديمة بالذات.

"من وقت لآخر تطلعوا للعودة إلى الحي اليهودي في القدس القديمة، كانوا متأكدين أنه لن يطول الوقت ويعود اليهود للعيش في المدينة القديمة، لكنهم لم يعرفوا متى بالضبط".[75]

ويؤكد الأديب على تشبث اليهود بالقدس الشرقية العربية، ويرى أن في عودتها إلى اليهود وعودتهم إليها خلاصًا لهم، مضيفًا بذلك بعدًا دينيًّا عقائديًّا للتمسك اليهودي بهذه المدينة.

"سينفخ النبي إلياهو في هذا البوق، وبهذا يبشر بمقدم المسيح. وفي اليوم الذي سيأتي فيه المسيح سنسير كلنا من القدس الجديدة ونعود إلى مدينتنا القدس القديمة نطلب المغفرة من حائط المبكى، لأنه رغمًا عنا تركناه وقتًا طويلًا، عندئذ سنبني الهيكل وأتمنى أن يكون هذا بسرعة وفي عصرنا".[76]

ويطرح هنا الأديب فلسفة جديدة في تشبث اليهود بالقدس القديمة؛ حيث إنه يعتبر استيلاء اليهود عليها هو بمثابة خلاص لليهود وللقدس ومقدم للمسيح المخلص، فعقيدة الخلاص تتحقق من خلال عودة اليهود للقدس أو عودتها إليهم كما يزعم، في ربط واضح بين الدين والسياسة، فيجعل المفاهيم الدينية في خدمة الأهداف السياسية، كما يفعل الصهاينة على الدوام، حيث إنهم يستغلون الدين ويسخرونه بشكل مغلوط لخدمة أهدافهم السياسية.

إن طرح الأديب لقضية الصراع العربي- الصهيوني على القدس في قصصه التي يكتبها للشباب طرح أيديولوجي مخطط، فهو لا يعرض القضية على أنها حق يهودي في مدينة

القـدس الشرقيـة فقط، بل إنه أيضًا يهدف إلى طمس الحـق العربي تمامًا في المدينة، فيصورها عـلى أنهـا مدينة يهودية تعرضت لهجمة مسـتعمر أو غازٍ غزا المدينـة واحتلها واغتصبها من أهلهـا، فقتـل مـن قتل وأسر مـن أسر وطرد مـن طرد، إنه عـرض منهجي ومنظـم للجيل الصاعـد قالبًا لهم الحقائق رأسًـا على عقب، كما تفعل على الـدوام الدعاية الصهيونية بهدف أن يتمسك الجيل الصاعد بهذه الادعاءات ويتخذوها كحقائق ثابتة لا مجال للشك فيها.

والأديـب وأمثالـه يتجاهلـون الحقائـق الواضحـة وضوح الشمـس، وهـي أن قبل 1948 وبمسـاعدة الاسـتعمار البريطاني وأثناءه قاموا باحتلال واغتصاب القدس الغربية وسبعين بالمائة من أراضي فلسطين، ولقد طرد اليهود في عام 1948 مليون عربي بلا رحمة عن وطنهم ودفعـوا بهم إلى البؤس والشقـاء والموت، وارتكبوا كل جريمة ببسـاطة حتى جريمة القتل الجماعي وإبادة الشعوب.[77]

ولقـد قامت العصابـات الصهيونية بارتكاب عدد من المذابح الوحشية ضد سـكان القرى والمـدن العزّل من السـلاح، وأهمها مذبحـة يافا ومذبحة دير ياسـين[78] وغيرها من المذابح البشعة التي ذبحوا فيها عشرات الآلاف من العرب بلا رحمة.

واستخدمت إسرائيل كل الوسائل والأساليب الإرهابية في القدس الشرقية منذ احتلالها في حرب 1967 ولا تزال تستخدمها حتى اليوم، فقد تم هدم الأحياء وتشريد الناس ومصادرة الأراضي، واسـتعمال حجة المناطق الأثرية للحفر والتنقيب تحت المسـجد الأقصى، وجلب مستعمرين مستوطنين يهود إلى القدس بعد طرد أهل القدس العرب.[79]

ولازالـت عملية الاسـتيطان اليهودي في القدس العربية مسـتمرة ومصحوبـة بطرد أهلها العـرب منهـا وتشريدهم، ولـو أن الأديب صادق مع نفسـه ما قلب الحقائـق بهذا الشكل، ولكن شـأنه في هذا شـأن المسـتعمر المغتصب الـذي يضع المنطق ويخلق الذرائـع الكاذبة لما يقوم به من اسـتعمار وسرقة وما يرتكبه من مذابح وتشريد، وهو يريد أن يغرس هذا الفكر العنصري في الجيل الصاعد.

الخاتمة

- أثبتـت الدراسـة أن مدينة القـدس هي مدينة عربية خالصة وبشـكل قاطع لايدع أى مجـال للشك، فقد أسسـها العرب قبل ظهـور بني إسرائيل فيها بحـوالى ألفي عام، وأن الوجـود الإسرائيـلي فيها عبارة عن برهة في عمر الزمن ولحظة لاتحسـب مطلقًا في عمر الأمم والممالك.

– اهتمت الصهيونية بالشباب اليهودي في مقتبل العمر، فعملوا على تأسيس تنظيمات خاصة بالشباب، أصدرت عنها مجلات أدبية، ومن خلالها عملت على بث فكرها وأيديولوجياتها في الجيل الصاعد من الشباب.

– اهتم الأدب العبري على اختلاف مراحله بالشباب الصاعد، فصدرت أعمال أدبية خاصة بهذه المرحلة العمرية، وقد استخدم هذا الأدب الموجه للشباب لبث الفكر الصهيوني وأهداف الحركة الصهيونية.

–عمل الأديب على إثبات أن للقدس مكانة دينية مهمة لدى اليهود، في محاولة منه لربط اليهود في كل بقاع العالم بالقدس ربطًا وثيقًا وإيهام الجيل الصاعد بأن اليهود في كل مكان يرتبطون بالقدس ويتطلعون للهجرة إليها والعيش فيها والدفن فيها، هادفًا بذلك إلى تعميق مشاعر حب القدس لدى الجيل الصاعد وأنها تستحوذ على ألبابهم ليتمسكوا بها بعد اغتصابها من العرب.

–عرض الأديب واقع حياة اليهود في القدس، فحرص على وصف القدس القديمة والجديدة بما تحويه، من قديم وجديد، من فقر مدقع ليهود يعيشون على صدقات وتبرعات، في أكواخ متهالكة إلى شوارع كبيرة فخمة وأحياء جديدة فيها شوارع واسعة وحياة عصرية حديثة.

– حرص الأديب على خداع الشباب الصاعد بإيهامه بأن استيطان اليهود القدس الغربية يعد عملًا بطوليًّا وجرأة من اليهود، مخفيًا عنهم حقيقة أن هذا الاستيطان جاء على حساب قرى وأحياء عربية كاملة. فحرص على عدم ذكر الحقيقة للجيل الصاعد لكي لا يشعر بالورطة الأخلاقية أو تأنيب الضمير، وأن يلتزم بالصمت تجاه الحق العربي التاريخي الواضح في القدس الغربية.

– أسهم الأدب المكتوب لهذه المرحلة في ترويج الأباطيل التي يدعيها اليهود حول حائط البراق؛ فصوره على أنه رمز ومعلم ديني يهودي، يجمع حوله اليهود من كل حدب وصوب على اختلاف أنواعهم، وربط اليهود بهذا الحائط مدّعيًا أنه ملك لليهود وحق من حقوقهم الدينية في القدس الشرقية ولا منازع لهم فيه، زارعًا بذلك في عقلية الشباب الصاعد فكرة أن الهجرة إلى القدس وامتلاك حائط البراق حق مشروع لليهود ولا جدال فيه، والهدف من ذلك غرس فكرة أن يتمسك الجيل الصاعد بهذه المنطقة، وبهذا الجزء الذي هو جزء من الحرم الشريف للسيطرة على القدس الشرقية المحتلة عام 1967.

-ربـط الأديـب بين مـاضي اليهود الغابـر عصر المملكـة وداود الذي هـو برهة في عمر الزمـن بالحـاضر الحالي والهدف منه تضليـل الجيل الصاعد وترويـج الادعاء الصهيوني اليهـودي الباطل بأن القدس مدينـة يهودية خالصة وخاصة باليهود وأنها حق لهم فهي، كـما يـروج الأديب، مدينتهم المقدسـة وعاصمة ملكهم القديم ويجـب أن تكون كذلك في العـصر الحاضر، وحـاول ترويج، بين الشبـاب الصاعد، لفكـرة أن القدس الشرقية بالـذات يهوديـة خالصة وأنهـا من حق اليهـود وكأن القرون الكثيرة بـين عصر المملكة والعـصر الحـاضر قد توقفـت أو كأنها لم تكن مدللًا على تلك الأباطيل وينسـب كل أثر ومعلم في القدس الشرقية إلى اليهود، مدللًا على ذلك بفقرات كاملة من التوراة المحرفة، هادفًـا من ذلـك تضليل الجيل الصاعد ليتمسـك بالقدس الشرقيـة المحتلة وعدم ردها للعرب تحت دعوى أنها يهودية خالصة منذ عصر المملكة القديمة ولاحق للعرب فيها- وعمـل الأديب على تضليل الجيـل الصاعد من الشباب الإسرائيلي أثنـاء تناوله القضية الـصراع على مدينـة القدس، فقلب الحقائق رأسًـا على عقب، فصـوّر العرب في صورة الوحـش المعتدي الكثير العدد والعتاد والـذي يريد الفتك باليهود واغتصاب حقهم في مدينتهـم القدس وطردهـم منها، في حين أن اليهود -كما صورهـم- حمل وديع وبريء معتدى عليه وقلة قليلة، يدافعون باستبسـال عن مدينتهم المقدسـة وحقوقهم فيها أمام العـرب الغزاة المحتلين، قالبًا بذلك حقائق تاريخية واضحة وضوح الشمس، هادفًا من هـذه الأباطيل لزرع فكرة الحق اليهـودي المزعوم في القدس الشرقية المحتلة لدى الجيل الصاعـد لكي ينشأ جيل صاعد مؤمن بهذه الأكاذيـب فيتشبث بالقدس العربية المحتلة ولا تعـود إلى أصحابهـا العرب مطلقًـا، فيؤمن بأنها أرض يهودية عـادت إلى اليهود ولا حق للعرب فيها، كما هدف من ذلك إلى وضع تبرير أخلاقي ومنطقي للجيل الصاعد لما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة والقدس الشرقية من اسـتيطان ومصادرة أراضٍ عربية وطرد وتشريد وقتل جماعي للعرب وتهويد القدس الذي يسـير في خطا حثيثة.

- أثبـت البحـث أن الأدب المكتوب لهذه المرحلة العمرية هـو أدب موجه يهدف إلى خداع الجيل الصاعد وتضليله، فهو أدب يقلب الحقائق رأسًـا على عقب ويخدع النشء من خلال عـرض اختـلاق أحـداث مغلوطة وزيف مصطنـع عكس الواقع لإشـباع الجيـل الصاعد بهـذه الأكاذيب لتتحـول لديه إلى حقائق ثابتة راسـخة مزعزعة، ويتخذ مـن هذه الأباطيل أيديولوجية وعقيدة ثابتة يدافع عنها.

الهوامش

1 – فاروق عز الدين: القدس تاريخيًّا وجغرافيًّا مكتبة الأنكلو المصرية 1981 مصر ص 16.

2 – للمزيد انظر: فؤاد حسنين علي: إسرائيل عبر التاريخ. دار النهضة العربية القاهرة د.ت.

وانظر أحمد صدقي الدجاني: قراءة للوجود اليهودي في القدس. مجلة القدس العدد السابع مركز الإعلام القاهرة: تموز/ يوليو 1999.

3 – اسحق موسي الحسيني: عروبة بيت المقدس: منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث– بيروت 1969 ص 12.

4 – صابر طعيمة– التاريخ اليهودي العام– دار الجليل. بيروت، 1991 ص 152.

5 – فاروق محمد عز الدين: القدس تاريخيًا وجغرافيًا. ص 41.

6 – ولد يونا كوهي علم 1920 وقد تلقى في بداية حياته تعليمًا دينيًّا، حيث درس في مدرسة تلمود توراة ومدرسة بورات يوسف الدينية في القدس القديمة، وهو مرشد في حركة الشباب الدينية "بني عقيبا"، مرشد مبعوث من قبل المؤسسات القومية لشؤون هجرة وتعليم في بلدان سوريا، إيران، ليبيا، تونس والجزائر.

وهو أديب جريدة הצופה منذ تأسيسها عام 1938، مراسل برلماني منذ يوم عقد دورة الكنيست الأولى ومراسل شبكة الإذاعة. نشر مقالات كثيرة في مجلات مختلفة في إسرائيل وخارجها، أهم الكتب التي أصدرها هي:

- "بين المواطن والدولة" عبارة عن حوارات للمرشدين حول موضوع الجنسيو المواطن.
- "عيون" و"يوسهلاه" كتابان للأطفال.
- "حرب النجمة والخلاص" حول حرب 1997.
- "حاخام جرشون من نبع شمعون" واقع حي القدس.
- "فصول في تاريخ الحركة الدينية القومية".
- "إسرائيل المواطن والدولة".
- "الكنيست، مناقشات وابتسامات"، وقد حظي عنه بجائزة في عام 1973.
- "القدس في الحصار".
- "الحاخام يهودا حلي القلعي".
- "ماهية الهوية والحق".

7 – أمل عبد العزيز عيد، فوزية فهيم: الآثار النفسية والتربوية لما يقدم للطفل. هيئة الاستعلامات 1983 ص 10.

8 – محمود حسن إسماعيل، محمود أحمد مزيد: أدب الأطفال وتطبيقاته العلمية. القاهرة ص 16.

9 – אופק אוריאל: ספרות הילדים העברית , ההתחלה. הוצאת מפעלים אוניברסאיים. 1979. עמ" 149 – 150.

10 – שם. עמ" 151.

11 – אופק אוריאל: ספרות הילדים העברית.1948 – 1988 , 1900 עמ"598.

12 – שם. עמ" 601.

13 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר , הוצאת עם עובד. תייא. 1985. עמיי 11 – 12.

14 – שטינברג יעקב: כל כתבי יעקב שטיינברג: הוצאת דביר. תשי"ז. עמ"69.

15 – للمزيد انظر: גוברין נורית: שורשים וצבריות. 1981 עמיי 69.

وانظر محمد محمود أبو غدير: القصة العبرية وأوضاع اليهود في فلسطين. القاهرة 1987 ص 46–46.

16 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר , עמי 13.

17 – שם. עמי 13.

18 – עוז עמוס: באור התכלת היזה , מאמרים ורשימות. הקבוץהארצי , ת"א. 1979. עמי 207

19 – ברזל הלל: ששה מספרים. אנתולוגיה. משרד החנוך בשתוף יחידיו , ת"א. תשל"ב. עמי 146.

20 – כייץ שרה: מראות בירושלים של דוד שחר. עמיי 14

21 – שם. עמי 14

22 – כהן דוד: כותל הדמעות. דבר לילדים 1975. 1 – 8

وانظر: כהן דוד: החשמונאים הצעירים. דבר לילדים. 1972 – 2 – 11

23 – חביב יפרח: שכור לכל החיים , הארץ שלנו ,– 1975 – 4 – 6

24 – מינץ רחל: נעלה לירושלים. דבר לילדים. 1975 – 11–11

25 – גלוזמן שרה: אהוד עולה לירושלים. דבר לילדים. 1980 – 5 – 22

26 – محمد خليفة حسن: دراسات في تاريخ وحضارات الشعوب السامية القديمة: دار الثقافة– القاهرة 1985 ص 177.

وانظر: محمد خليفة حسن: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضاراته. 1995 ص 236.

27 – محمد عبد الوهاب المسيري، سوسن حسين: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية– مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975 ص 364 – 365.

28 – כהן יונה מטהרן לירושלים ועוד ספורים לבני הנעורים.קרית ספר.ירושלים.1980.עמ"27

29 – כהן יונה: מטהרן לירושלים.עמיי 55

30 – محمد عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 188.

31 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ"55 – 56

32 –שם.עמ" 92_93

33 – שם.עמ" 55

34 – שם.עמ72"

35 –שם.עמ 69"

36 – فرانك.أ مانويل: بين أميركا وفلسطين ترجمة يوسف حنا. عمان 1967 ص 15.

37 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ" 65–66

38 – שם.עמ"63

39 – שם.עמ"65.

40 – نظمي الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس– مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 50 ربيع 2002، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ص 104.

41 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ"20

42 – שם.עמ"65

43 – اسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس، ص 19.

44 – محمد صالح توفيق: أسماء القدس عربية مجلة الدراسات الشرقية– عدد 26 ص 45.

45 – محمد عبد الوهاب المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. ص 164.

46 – حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي– دار القلم– دمشق 1987 ص 37، 38.

وانظر محمد جلاء إدريس: أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي– مركز الإعلام العربي– القاهرة ص 123.

47 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ"71

48 – שם.עמ"73

49 – שם.עמ"56

50 – حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي. ص 3.

51 – محمد جلاء إدريس: أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي. ص 122.

52 – إسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 22 – 31.

انظـر: زينب راشـد وآخـرون: الصهيونية، دراسـة تاريخية وفكريـة. مطبعة الجبـلاوي، القاهرة، ص 153,152.

53 – للمزيد انظر: زينب راشد وآخرون: الصهيونية ص 153.

54 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ" 58

55 – سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية. ترجمة يعقوب بكر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1997 ص 115.

56 – إسماعيل راجي الفاروقي: أصول اليهودية في الدين اليهودي. مكتبة وهبة القاهرة. ص 60.

57 – כהן יונה מטהרן לירושלים.עמ" 60

58 – שם.עמ"71

59 – سـمير الزبن: مركزية القدس في الصراع– مجلة شـؤون الأوسـط– عدد 72 أيار/ مايو 1998 – مركز الدراسات الإستراتيجية– بيروت ص 69.

60– beigin menachm:The revolt.story of the irgun.new york. 1951.p.335

وانظر: أسعد رزوق: الصهيونية وحقوق الإنسان العربي منظمة التحرير الفلسطينية. مركز الأبحاث– بيروت ص 152.

61 – نادية عز الدين رفعت، عمرو كمال حمودة– المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. سينا للنشر– القاهرة 1999 ص 88–89.

62 – إسحاق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 20 – 21.

63 – أحمد صدقي اللجاني– خطر الاستيطان الصهيوني في البلدة القديمة في القدس – مجلة القدس. العدد التاسع، أيلول/ سبتمبر 1999. مركز الإعلام العربي. القاهرة ص 8.

64 – כהן יונה מטהרן לירושלים עמ" 66.

65 – שם.עמ" 80

66 – שם עמ" 79

67 – שם.עמ" 73 – 74

68 – שם.עמ" 79

69 – שם.עמ" 66

70 – שם.עמ" 80

71 – إسحق موسى الحسيني: عروبة بيت المقدس. ص 48.

72 – أحمد صدقي الدجاني: خطر الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس 7–8.

للمزيد انظر: إسحاق موسى الحسيني، عربية بيت المقدس ص 18 – 19.

73 – نظمى الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهود في البلدة القديمة في القدس ص 105.

74 – כהן יונה: מטהרן לירושלים. עמ"81

75 – שם.עמ"66

76 – שם.עמ" 82

77 – فرانتز شايدل: إسرائيل المعتدية. ترجمة محمد جديد– وزارة الثقافة، دمشق 1970 ص 65.

78 – للمزيد حول مذابح اليهود ومذبحة دير ياسين بالذات انظر: جاكي رينيه: القدس 1948. ترجمة وتقديم نبيل سعد. دار أخبار اليوم. القاهرة– 2000. ص 57–69.

79 – للمزيد حول مطامع إسرائيل في القدس الشرقية وما تتبعه من سياسة التهويد فيها منذ احتلالها في 1967 وحتى الآن انظر:

– بلال الحسن: التهويد والتهجير وضرورات المواجهة السريعة مجلة العربي، الكويت. العدد 293 نيسان/ أبريل 1983 – ص 56.

نظمي الجعبة: تاريخ الاستيطان اليهودي في البلدة القديمة في القدس– مجلة الدراسات الفلسطينية ص 108 – 109.

عبد القادر ياسين: اللمسات الأخيرة لتهويد القدس. مجلة القدس– العدد الخامس أيار/ مايو 1999. مركز الإعلام العربي. ص 63 – 65.

. أحمد صدقي الدجانى: خطر الاستيطان اليهود في البلدة القديمة في القدس. مجلة القدس. ص 7.